فقل الولي يشركون ولا ينتهون يا صاحبي السجن يا ساكني السجن كقوله
يا صاحبي النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون خير أم
الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر أي أن يكون
أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أن يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية هذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة
الأصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر من دونه
من دون الله إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي سميتم ما لا
يستحق الإلهية ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسميات تحتها
ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ما أنزل الله بها
بتسميتها من سلطان حجة إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله
ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم
الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن أكثر الناس لا يعلمون
وهذا يدل على أن العقوبة تلزم وإن جهل إذا تمكن له العلم بطريقه ثم عبر الرؤيا
فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما يريد الشرابي فيسقي ربه
سيده خمرا أي يعود إلى عمله وأما الآخر أي الخباز فيصلب فتأكل
الطير من رأسه روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرم حسن الملك
وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن
ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام
ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئا فقال يوسف قضي
الأمر الذي فيه تستفتيان أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمر
كما وشأنكما أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقال
للذي ظن أنه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله
بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى
اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي
لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فأنساه الشيطان فأنسى الشرابي

ذكر ربه

٣٧٦

ذكر ربه أن يذكره لربه يعني ذكره لربه أي عند ربه فأنسي يوسف ذكر الله
حين وكل أمره إلى غيره وفي الحديث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
لما لبث في السجن سبعا فلبث في السجن بضع سنين أي سبعا عند
الجمهور وهو ما بين الثلاث إلى التسع وقال الملك إني أرى
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر وأخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هائلة رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات عجاف فابتلع العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى
غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها قيل كان ابتداء بلاء
يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف
المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء
وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير
على النظير والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات
السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون
قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر يا أيها الملأ كأنه أراد الأعيان من
العلماء والحكماء أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون
اللام في الرؤيا كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لأن المفعول به إذا تقدم
على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت
الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الأمر
إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا
ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه
وهو الذي عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا
بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير

Copyright © King Saud University